

أضواء البيان

. @ 184

وفي الحيوانات : { الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً } . . .
وفي الجمادات يشير إليه قوله تعالى : { أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ رُضًا كَانَ زَنْدًا رَّتُّقًا فَفَتَقْنَا هُمًا وَجَعَلْنَا مِنِ الْوُجُوهِ كُلِّ شِدْعٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ } وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رُضًا رَوْاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ } . . .

فرب الفلق تعادل رب العالمين ، فقابلها في الاستعانة بعموم المستعان منه ، من شر ما خلق . . .

ثم جاء ذكر الخاص بعد العام للاهتمام به ، وهو من شر غاسق إذا وقب ، والنفاثات في العقد ، وحاسد إذا حسد . . .

فالمستعان به صفة واحدة ، والمستعان منه عموم ما خلق جملة وتفصيلاً ، بينما في السورة الثانية جاء بالمستعان به ثلاث صفات هي صفات العظمة للَّهِ تعالى : الرب والملك والإله . . .

فقابل المستعان منه وهو شيء واحد فقط ، وهو الوسواس الخناس ، وهذا يدل على شدة خطورة المستعان منه . . .

وهو كذلك ، لأننا لو نظرنا في واقع الأمر لوجدنا مبعث كل فتنة ومنطلق كل شر عاجلاً أو آجلاً ، لوجدناه بسبب الوسواس الخناس . وهو مرتبط بتاريخ وجود الإنسان . . .
وأول جناية وقعت على الإنسان الأول ، إنما هي من هذا الوسواس الخناس ، وذلك أن الله تعالى لما كرَّم آدم ، فخلقه بيده وأسجد الملائكة له وأسكنه الجنة هو وزوجه لا يجوع فيها ولا يعرى ، ولا يظمأ فيها ولا يضحى ، يأكلان منها رغداً حيث ما شاءا ، إلا من الشجرة الممنوعة ، فوسوس إليهما الشيطان حتى أكلا منها ودلاهما بغيرور ، حتى أهبطوا منها جميعاً بعضهم لبعض عدو . . .

وبعد سكتاهما الأرض أتى ابنيهما قابيل وهابيل فلاحقهما أيضاً بالوسوسة ، حتى طوّعت نفسي أحدهما قتل أخيه فأصبح من النادمين . . .

وهكذا بسائر الإنسان في حياته بالوسوسة حتى يربكه في الدنيا ، ويهلكه في